التكامل المعرفي وتجلياته في الصناعة المعجمية العربية
ـ دراسة تطبيقية في المعاجم الاصطلاحية ـ

د. حاج هنّي محمد

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

مقدمة:

لقد خلف العرب القدامى تراثاً معجمياً زاخراً، تمثل المعاجم الموسوعية الاصطلاحية أحد أهمّ أنواعه، ولقد امتدّ هذا التأليف المعجمي على مدار ثمانية قرون كاملة؛ فمنذ وضع الخوارزمي الكاتب (ت387هـ) كتابه "مفاتيح العلوم "توالت المصنّفات في هذا النوع من التأليف، مستوعبةً لعلوم كثيرة أهمها: التفسير، الحديث، الفقه، أصول الكلام، الجدل، النحو، الصرف، المعاني، البيان، العروض، المنطق، الحكمة، الهيئة، الهندسة، الحساب، الموسيقى، النجوم، الطبّ، الأخلاق، التصوف .

وكان من أهم المعاجم التي حذت حذو الخوارزمي الكاتب في صنيعه "التعريفات "للشريف الجرجاني (ت816هـ)، و"مقاليد العلوم في الحدود والرسوم" للسيوطي (ت911هـ)، و"التوفيق على مهمات التعاريف" للمناوي (ت1031هـ)، و"الكليات" لأبي البقاء الكفوي (ت1094هـ)، و"أبجد العلوم" للقنوجي (ت1307هـ)، و"كشّاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي (ت بعد 1158هـ).

فقد سعى واضعو هذه المعاجم إلى رصد جلّ المصطلحات المتداولة بين العلماء في شتى المجالات المعرفية، شرعيةً كانت أم لغويةً، أصيلةً كانت أم

دخيلةً، في كتاب واحد؛ بغية تزويد المتعلّم بالقدر الكافي من المصطلحات التي تمكّنه من استيعاب علوم العصر، ويتجلى الطابع الموسوعي لهذه المصنّفات في اشتمالها على عدة حقول معرفية في آن واحد؛ نظر لكون الثقافة الإسلامية- ومنذ نزول القرآن الكريم- كانت تستدعي الإلمام بعدة علوم معاً؛ لفهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا حصل هذا التداخل المعرفي والتواشج العلمي بين علوم الشريعة، وعلوم الآلة؛ خدمةً لهذه الغاية النبيلة.

ومن الإشكالات التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها، ما يلي:

- ما هي مظاهر التكامل المعرفي في المعاجم الموسوعية الاصطلاحية التراثية؟
- وكيف جسّدت هذه المصنّفات التقارب المعرفي بين العلوم المختلفة في الحضارة الإسلامية؟
- وما هي الغايات الكبرى التي سعت هذه المعاجم لتحقيقها؟ وما هي المناهج التي اعتمدتها في ذلك؟

1- المعاجم الموسوعية الاصطلاحية:

لعل النظر في التراث العربي العتيق يفرز بوضوح أنّ البحث في كشوف المصطلحات لم يكن من اهتمامات القدماء؛ فهم "لم يكونوا يفرقون بين المعارف والصناعات وفق تخصص معين، وإنما كان تعدّد التخصصات سمة بارزة التصقت بنظر نظارهم، لذلك كانت ابحاثهم في كشوف الاصطلاحات تظهر في شكل موسوعات تجمع النحو بالفقه والتصوّف والطب والكلام والمنطق والرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم النجوم"[1].

وفي هذا السياق يرى ابن خلدون أنّ النشاط الهائل على مدى عدة قرون في كل حقل من الحقول الأدبية والعلمية أسفر على تأليف عدد ضخم من الكتب، فلم يكن عمر العالم المتخصّص يكفي لقراءة ما كُتب في ميدان

[1]- لغة النظر ونظار اللغة، محمد الدرويش، تقديم: أحمد العلوي، منشورات فكر، الرباط، المغرب، ط:1، 2009، ص: 92-93.

اختصاصه فكيف بدراستها، ومن هنا كان ارتياد الطلب على الكتب الموسوعية المختصرة، إذ يقول في هذا السياق:"اعلم: أنّه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلّم والتلميذ باستحضار ذلك"[1].

ومن الأسباب الرئيسية التي كانت تمنع العالم من أن ينصرف إلى التخصص في فن، صفة إنسانية تعم البشر جميعا، وهي كراهية الإنسان الاعتراف بجهله؛ فحتى يحتفظ العالم بمقامه وشهرته في المجتمع لابد أن يكون مستعداً للإجابة عن كل سؤال، ومن النادر أن نعثر على عالم يعترف أنّ الذاكرة كانت تخونه[2]؛ وأمام هذه الوضعية وضع علماؤنا معاجم موسوعية تجمع بين دفتيها عدة علوم في آن واحد.

أ- تعريفها:تعد المعاجم الموسوعية الاصطلاحية "مصنفات تعرض لمصطلحات المعارف وفق تقسيم محدد للعلوم، ولمفاتيح العلم الواحد، أو لاصطلاحات عامة رُتبت ترتيبا ألفبائيا"[3].

كما يقصد بها تلك المعاجم التي تتناول بالتعريف والتحديد مصطلحات العلوم المختلفة، ويتسم هذا النمط المعجمي التراثي بتعدد العلوم والفنون التي يحتويها المعجم.

ب- نماذجها: وضع أسلافنا عددا لا بأس به من المعاجم الاصطلاحية الموسوعية، اعتمدوا فيها منهجية محكمة في تدوين مصنفاتهم؛ فقد اعتمد أغلبهم على مقدمة توضيحية لطريقة إعداد المعجم، كما حرصت متونهم على

[1]- مقدمة العلامة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1424ه-2004م، ص:600.

[2]- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، فرانتز روزنتال، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1961م، ص:166-167.

[3]- المصطلحية وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي، خالد اليعبودي، دار ما بعد الحداثة، فاس، ط:1، 2004م.، ص: 107.

تبيان الفروقات الحاصلة بين المفاهيم، إضافة إلى تميّزها بالترتيب الواضح لمداخلها، والتعريف الدقيق لمفاهيمها، كل ذلك جاء مرفوقا بكثرة التحري والتوثيق المباشر بالرغم من بساطة آليات العمل آنذاك[1]، ومن جملة هذه المعاجم نذكر:

1- مفاتيح العلوم للخوارزمي:

احتوى مفاتيح العلوم على ألفين وثلاثمائة واثنين وثمانين (2382) مصطلحاً، توزعت على مقالتين، تفرعتا إلى خمسة عشر (15) باباً، تتجزأ مجتمعةً إلى ثلاثة وتسعين (93) فصلاً.

استوعب مفاتيح العلوم مصطلحات علوم العرب التي صنّفها في ستة أبواب هي: الفقه- الكلام- النحو- الكتابة- الشعر والعروض- الأخبار.

كما احتوى علوم العجم التي تفرعت إلى تسعة (9) أبواب هي: الفلسفة، المنطق، الطب، الأرثماطيقي (الحساب)، الهندسة، علم النجوم، الموسيقى، الحيل، الكيمياء.

وعلى الرغم من أنّ معجم "مفاتيح العلوم" للخوارزمي أوّل ما أُلف في هذا المجال، إلاّ أنّه يحدد صورة واضحة المعالم عمّا بلغته اللغة العربية من نمو وارتقاء؛ إذ لم تعد آداةً للتعبير عن العلوم الشرعية، والإنسانية فقط، بل صارت وعاءً يتسع لشتى العلوم الحقيقية المستحدثة آنذاك.

2- **التعريفات للشريف الجرجاني** (816هـ):

يعد كتاب التعريفات من أوائل المعاجم الاصطلاحية العامة، فهو قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه، واللغة، والفلسفة، والمنطق، والتصوّف، والنحو، والصرف، والعروض، والبلاغة، حدّد الجرجاني فيه معاني المصطلحات تبعا لمستخدميها وتبعا للعلوم والفنون التي تنتمي إليها.

[1]- المصطلحية وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي، خالد اليعبودي، ص:107.

لقد رصد الجرجاني في معجمه ألفين وستة وعشرين (2026) مصطلحا، ورتّبها ترتيبا هجائيا وفقا للحرف الأول من الكلمة بعد إسقاط أداة التعريف دون النظر إلى أصولها، ولم يفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع، كما عدّ الكلمة الأولى من المصطلح معيار الترتيب الهجائي، إذا كان المصطلح مكوّناً من مضاف ومضاف إليه، أو من صفة وموصوف مثل: "أداة التعريف"، " الظرف المستقر"، "الفعل العلاجي".

وقد أدى عدم الاعتماد على أصول الكلمة في الترتيب الهجائي إلى تباعد المصطلحات المشتقة من مادة لغوية واحدة وتفرقتها في مداخل متعددة، مثل: " التصريف" في مدخل التاء، و"الصرف" في مدخل الصاد[1].

ولكن رغم هذا يبقى كتاب الجرجاني أصلا وأساسا اعتمد عليه كل من جاء بعده، فهو موسوعة شاملة لمصطلحات الفنون والعلوم؛ فقد نال المعجم نصيبا من الذيوع والإقبال من قبل الدارسين والباحثين رغم اختصاره، لاسيما وأنه انفرد بكثير من الآراء التي تدل على غزارة علم واضعه، ودقة تفكيره، وتتبعه لأقوال العلماء في التعريفات اللغوية، وترجيحه بعضها أو الحكم بخطئه، فهو كتاب لا غنى عنه، لكل باحث دأبه التحري عن المصطلح النافذ في علوم العربية.

3- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي(911هـ):

وهو معجم يضمّ ألفاً وثمانية مائة واثنين وستين (1862) مصطلحاً لواحد وعشرين (21) حقلاً معرفيّاً هي: التفسير، الحديث، الفقه، أصول الكلام، الجدل، النحو، الصرف، المعاني والبيان، العروض، المنطق، الحكمة، الهيئة، الهندسة، الحساب، الاستيفاء، الموسيقى، النجوم، الطبّ، الأخلاق، التصوّف.

[1]- التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1424هـ-2003م، ص:53-113.

وكانت منهج السيوطيّ تبويب المعجم بحسب عدد العلوم، إذ يفتتح كلّ باب بتعريف ذلك العلم، ثمّ يورد مصطلحاته دون الالتزام بترتيب معيّن، وليس ثمة إشارة في الكتاب إلى المصادر التي عوّل عليها في إيراد تعريفات هذه المصطلحات[1]؛ ومن ذلك الباب الأول "في التفسير" يورد فيه عشرين (20) مصطلحا، يفتتحه بتعريف التفسير، ويليه تعريف التأويل، ثم يبين الفروق الكائنة بين هذين المصطلحين، وهذا تفصيل ذلك:

"- التفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية، وشأنها، وقصتها، وأحكامها من طريق النقل.

- التأويل: صرف الكلام إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة على طريق الاستنباط.

قيل: التفسير: كشف ظاهر القرآن، والتأويل: كشف باطنه، وقيل: التفسير: ما يتعلّق بالرواية، والتأويل: ما يتعلق بالدراية، وقيل: التفسير: ما يمكن إدراك البشر إلى صفاته ومعانيه، والتأويل: ما يمتنع إدراكه، ولا يعلم تأويله إلاّ الله، وقيل: التفسير: ما لم يختلف فيه، والتأويل: ما اختُلف فيه، وقيل: التفسير: بيان الحقيقة، والتأويل: بيان المقصود، وقيل: التفسير: ما لم يرد فيه من السلف إلاّ وجه واحد، والتأويل: ما ورد فيه وجوه كثيرة، وقيل: التفسير للمحكمات، والتأويل: للمتشابهات"[2].

4- **التوفيق على مهمات التعاريف للمناوي**(1031هـ):

وهو معجم للألفاظ المتداولة في العلوم الشرعية والعربية، جمع فيه مؤلِّفه قرابة ثلاثة آلاف مصطلح مقرونة بتعريفاتها أو حدودها، لغةً واصطلاحاً،

[1]- ينظر: دراسات في علم اللغة، فتح الله سليمان، دار الآفاق، القاهرة، ط:1، 1429هـ-2008م، ص:180.

[2]- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر، ط:1، 1424 هـ- 2004م ص: .39

وهو مرتّب على أبواب بحسب حروف الهجاء، من الألف إلى الياء على حال الكلمة المصطلح عليها دون ردّها إلى جذرها، وقد راعى في الباب الحرف الثاني وجعله فصلاً[1]، يورد المناوي المصطلح ويتبعه بتعريف موجز؛ ومن ذلك تعريف مصطلح "الابتداء": في الشعر أول جزء من المصراع الثاني، وفي النحو تعرية الاسم عن العوامل اللفظية للإسناد"[2].

ومما سبق يتضح أنّ المناوي يركز على تقديم تعارف موجزة للمصطلحات التي يشتملها المعجم.

5- **أبجد العلوم للقنوجي** (1307ه):

هو موسوعة كبيرة تشتمل على بيان أحوال العلوم والمصنّفات فيها، وتراجم أئمة العلم في كلّ فنّ، جعله مؤلفه في ثلاثة أجزاء، أطلق على كلّ جزء عنواناً مستقلاً:

الجزء الأول: "الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم"؛ والذي أبدع تبويبه وتفصيله، فجعله على مقدمة وستة أبواب كبيرة وخاتمة، وتندرج في كل باب فصول وفقر اصطنع لها عناوين مبتكرة مبتغيا من ذلك حسن الترتيب ودقة النظام في التصنيف والعرض.

- الجزء الثاني: السّحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم": وهو أضخم الثلاثة حجما وأغناها مادة، استقصى فيه ما أُلف بالعربية من العلوم منذ بدء التدوين حتى عصره في شتى ميادين المعرفة من علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب والفلسفة والعقائد والتاريخ والسياسة والفلك والبلدان والطب والصيدلة والرياضيات والموسيقى، وما يتفرّع عنها، ثم شرع بتعريف كل

[1]- ينظر: المصطلح العلمي عند العرب– تاريخه ومصادره ونظريته، محمد حسن عبد العزيز، دار الهاني للطباعة، القاهرة، 2000م، ص:115.

[2]- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص: 3، نقلا عن: www.al-mostafa.com.

علم بعد أن رتبها على حروف المعجم، ويورد نماذج من الكتب المؤلَّفة فيه، فعلى كل طالب علم معرفة عنوان العلم الذي يقصده، ويحدّده في الترتيب الهجائي، فيجد ضالته بمعرفة موضوع العلم وأصوله وقواعده وفروعه، ونماذج من الكتب الموضوعة فيه.

- الجزء الثالث: سماه "الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم"، وخصّصه لتراجم رجال ألفوا في العلوم والفنون التي وردت في القسم الثاني من الكتاب، ولقد قسم هؤلاء الأعلام إلى عشرين (20) زمرة تضم كل واحدة اختصاصا بعينه، فهناك علماء في: اللغة، والتصريف، والنحو، والعروض والقوافي، والإنشاء والأدب، والمعاني والبيان، والمحاضرة، والشعر، والتواريخ، والمنطق، والجدل، والخلاف، والحكمة، والطب، وأصول الفقه، والمقالات، والفقه، والحُفاظ، والفرائض، والنجوم.

وذيّل هذا القسم بتراجم لعلماء خمسة أقاليم هي: الحرمين الشريفين مكة والمدينة، واليمن، والهند، وبلدة قنّوج، ومقاطعة بهوبال بالهند.

6- الكليات لأبي البقاء الكفوي (1094هـ):

وهو معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، ومن"أبرز الموضوعات التي رصّها المؤلف في مصطلحات الكتاب رصًّا مكثّفا دسماً: الفلسفة، وعلم الكلام، والمنطق، وأصول الفقه، والفقه الحنفي، والنحو والصرف، وغيرهما من علوم العربية كالبلاغة والعروض، إلى جانب المصطلحات المتداولة في كتب الحديث والتاريخ والعلوم والفنون الأخرى"[1].

رتّب الكفوي الكليات على حروف المعجم من الألف إلى الياء على شكل اللفظ؛ دون الرجوع إلى أصله الثلاثي، ورتّب فصل الألف فقط مراعياً

[1]- المفهوم النحوي في كليات الكفوي بين المصطلح والتعريف، غازي مختار طليمات، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد106، السنة السابعة والعشرون، ربيع الآخر 1428هـ- نيسان 2007م.

ثاني الحروف، ولم يلتزم بهذا المنهج في كامل المواد؛ وهذا ما يجعل البحث في المعجم عملية صعبة.

يورد الكفوي المصطلح، ثم يتبعه بالتعريف والشرح، مع تدعيم ذلك بالشواهد والأدلة؛ ومثال ذلك تعريف مصطلح الابتهال الذي حدّد مفهومه على هذا النحو: "الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه، قيل: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾[1] أي نخلص في الدعاء"[2].

تتجلّى أهميّة هذا المعجم في كونه:

- مفيداً لكل مهتم بدراسة الفلسفة، ولاسيما الفلسفة الإسلامية.
- معيناً على تفسير معاني آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.
- مرجعاً للدراسات اللغوية، وبخاصة في تتبع مسار حياة الألفاظ العربية.
- مصدراً غنياً لدراسة الفقه الحنفي بأصوله وفروعه.
- مفتاحاً مساعداً للعاملين في شتّى ميادين العلوم: اللغوية، والفلكية، والطبيعية، والرياضية، والطبية، منذ نشأتها حتّى عصر المؤلف[3].

7- كشّاف اصطلاحات الفنون للتّهانوي (توفي بعد 1158هـ):

يعدّ هذا المعجم أكبر مصنفات المصطلح حجماً وأوفاها مادةً؛ فقد بلغ عدد مداخله– عربية وأعجمية– ثلاثة آلاف وخمسة وأربعون مصطلحاً (3045)[4]، يقع في جزأين يضمان معاً (1190) صفحة، اشتمل على مصطلحات العلوم

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 61.

[2]- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1419هـ-1998م ص: 33.

[3]- ينظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ، مقدمة المحققان، ص:5.

[4]- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التّهانوي، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط:1، 1996، المقدمة ص: xxxlx.

اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، ومن مصطلحات العلوم الشرعية من فقه وحديث وكلام وتصوف، ومن مصطلحات العلوم الحقيقية كالمنطق والهندسة والطب وغيره.

وزّع التهانوي هذه المصطلحات في أبواب وفصول، راعى في الأبواب أول الكلمة، وفي الفصول آخرها.

8- جامع العلوم الملّقب بدستور العلماء للأحمد نكري:

معجم يقع في أربعة أجزاء من وضع عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى بعد 1180هـ)، بلغت مصطلحات المعجم أكثر من ثلاثة آلاف مصطلح، تباينت في توزيعها وحجمها، ألّفه على منوال كشاف اصطلاحات الفنون، غير أنّه تميّز عنه بتفصيل في المصطلحات، وتشعّب في فروع المعرفة، مما يدل على ثقافة واسعة وقدرة في التصنيف، لذا لُقب بدستور العلماء، وعُدّ من المصادر المهمة في شتّى العلوم آنذاك[1].

أما منهج ترتيبه فيوضحه واضعه بقوله: "نظمت المسائل في سلك قويم، وسلكت المطالب على صراط مستقيم، جعلت الحرف الأول مع الثاني باباً ليسهل الوصول إلى مقصورات المقاصد من الأبواب[2].

يورد الأحمد نكري المصطلح ويتبعه بالتعريف المناسب؛ ومن ذلك تعريفه لمصطلح "آداب البحث والمناظرة" :"صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان

[1]- ينظر: المصطلح العلمي في اللغة العربية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر، دمشق، ط:1، 1431هـ- 2010م، ص:176-177.

[2]- دستور العلماء (موسوعة مصطلحات جامع العلوم)، عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط:1، 1421 هـ - 2000م، ص:7.

كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط في البحث وإلزاما للخصم وإفحامه وإسكاته، وإن أردت الاطلاع عليها فهي منظومة في سلك هذا النظم"[1].

ج- وظائفها:

يمكن حصر وظائف التأليف المعجمي التراثي الموسوعي في عدّة أوجه منها:

أ- السماح بتحديد المعالم الذهنية لحضارة الأمة العربية في عصورها السابقة، ومقدار ما حققته من تقدم في مختلف فروع المعرفة، وكشف مواطن التّأثير والتأثّر بين المسلمين وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى.

ب- السماح بالتّأريخ للعلوم المختلفة ودراسة تطوّرها[2].

ج- ربط حاضر الأمة بماضيها وهو أمر تحرص عليه كل ثقافة أصيلة، بغية تحقيق التواصل الثقافي بين الخلف والسلف.

د- توفير الجهد والوقت في البحث عن المصطلحات؛ إذ من غير المعقول أن يبحث مترجم أو معرِّب عن مصطلح جديد يولّده ويروّضه للاستعمال في الوقت الذي يزخر تراثنا بمصطلحات قادرة على تأدية مفهوم المصطلح الأعجمي[3].

---

[1]- دستور العلماء (موسوعة مصطلحات جامع العلوم)، عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني فحص، ص:.14

[2]- ينظر: المعجم المختص في التراث العربي – قراءة في المادة والمنهج، علي توفيق الحمد، ندوة "المعجم العربي المختصّ"، جمعية المعجمية العربية بتونس، 17- 19 أفريل 1993، أشرف على نشره: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1996، ص:107-109.

[3]- ينظر: المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات- معجم لسان العرب نموذجا، ممدوح خسارة،- مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 78، ج:3، جمادى الأولى 1424هـ/ تموز(يوليو)2003م، ص:720.

فالمعاجم المتخصّصة التراثية– بحجم ما تزخر من رصيد مصطلحي غزير ومتنوع – قادرة على تنمية الرصيد المصطلحي للمتخصّصين المحدثين في شتى العلوم والفنون؛ من خلال إمدادهم بالمصطلحات التراثية الأصيلة، التي تحقق شروط الفصاحة والبيان، لذا وجب العودة إليها واستثمارها في وضع المصطلحات العلمية المستحدثة، حتّى يستطيع العربي أن يحقق معادلة الأصالة والمعاصرة.

2- مظاهر التكامل المعرفي في المعاجم الموسوعية الاصطلاحية:

يتجلى التفاعل المعرفي في صناعة المعاجم الموسوعية الاصطلاحية في عدة مظاهر، يمكن توضحيها في هذه العناصر:

أ- ربط علوم الدين بعلوم اللغة:

يتفق جل الباحثين في مجال المعارف الإسلامية على جلّ ما أُلف في هذه المعارف أو الأبواب المعرفية في فترات الإسلام الأولى كان شديد الصلة بالدين عامة وبالقرآن على وجه الخصوص، لذلك لا نجانب الصواب إذا ما جزمنا بأنّ هذه المعارف والعلوم لم تكن في تلك الحقبة الإسلامية سوى التفسير القرآني من جوانب مختلفة؛ فمن النظر في قوانين القرآن العملية نشأ الفقه، ومن النظر فيه باعتباره كتاباً ميتافيزيقياً نشأ علم الكلام، ومن النظر فيه كنص أخروي نشأ الزهد والتصوف والأخلاق، ومن النظر فيه كتاباً للحكم نشأ علم السياسة، ومن النظر فيه لغةً إلهيةً نشأت علوم اللغة، وقس على ذلك بقية العلوم والمعارف الإسلامية[1].

كما يعدّ القرآن الكريم مفجّر الدراسات اللغويّة؛ فقد كان السبب المباشر الذي أظهر الدراسات اللغوية إلى الوجود؛ ولهذا "بدأت الدراسات المعجميّة العربية، ككلّ الدراسات اللّغوية عند العرب، لخدمة الدين الإسلامي،

[1]- ينظر: دراسات في اللغة والمصطلح، يوسف العثماني، سلسلة أعمال وحدة البحث "مجتمع المصطلحات" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، ص: 159.

ولغرض فهم القرآن الكريم، المصدر الأوّل للتشريع الإسلامي، ودستور المسلمين"[1]،

ولقد حصر أحد الباحثين الأسباب التي أدت إلى وقوع التداخل المعرفي بين علوم الشريعة وعلوم اللغة في خمسة عوامل أساسية هي:

وحدة المنطلق: وهو القرآن الكريم، والذي جُمع في الصدور قبل السطور بالإضافة إلى الحديث الشريف، والشعر.

وحدة الغاية: وهي البيان، فالعلوم الشرعية واللغوية وُجدت لتحقيق البيان.

وحدة الباحث: ويتمثل في الوحدة النفسية والشعورية لدى العلماء مما جعلهم بنياناً متراصاً على الرغم من الاختلاف الحاصل بينهم.

وحدة النشأة والتطور: فقد نشأت علوم اللغة وعلوم الشرع متزامنةً متداخلةً يفيد بعضها بعضها، وتطورت تتبادل التأثير والتأثر.

وحدة المنهج: وهو نتجة حتمية لوحدة العوامل الأربعة السابقة الذكر[2].

ولقد جسّدت المعاجم الاصطلاحية الموسوعية هذه السمة بوضوح؛ من خلال جمعها بين علوم الشريعة وعلوم اللغة، والتي يغذي بعضها بعضاً، ويفيد السابق منها اللاحق في المنهج والمصطلح والغاية.

ب- الجمع بين علوم العرب وعلوم العجم:

ويبدو ذلك جلياً في أول معجم اصطلاحي تراثي؛ فقد بيّن الخوارزمي منهج تصنيف كتابه في المقدمة قائلاً:"وجعلته مقالتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من

[1]- فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط:2، القاهرة، مصر، 1999 م، ص: 229.

[2]- ينظر: التداخل والتكامل المعرفي في العلوم اللغوية: من أين؟ وكيف؟ عبد النبي الدكير، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، العدد الأول، 1422-2001م، ص: 117-122.

الأمم"[1]، واستمرت هذه السنة الحميدة في المصنّفات التالية له؛ فجميع المعاجم الاصطلاحية الأخرى أوردت العلوم العربية الأصلية جنباً لجنب مع العلوم الأعجمية الدخيلة، وفي ذلك تحقيق للتكامل العلمي، وتجسيد للتداخل المعرفي في الساحة المعرفية الإسلامية التي أُسست على قواعد صلدة، قوامها العلم والمعرفة.

ج- سمة الموسوعية:

لقد كان الشريف الجرجاني إلى جانب إلمامه الواسع بالعلوم النقلية من لغة وحديث وفقه، ضالعاً في المنطق؛ فقد بدأ حياته متكلّما يدافع عن الدين الحنيف بأسلوب أهل النظر، وانتهى به الأمر إلى التصوّف، وهذا ما أهّله لوضع موسوعة اشتملت على مصطلحات علوم مختلفة تضمّ الفلسفة والفقه والمنطق والنحو والبلاغة والعروض وغيرها من العلوم، وبالنظر إلى الفترة التي أُلف فيها هذا المعجم يمكن استنتاج أنّ الجرجاني" وهو يؤلف كتاب التعريفات كانت قد استقامت في عقله علوم ومعارف انطلق منها في الإعداد، والتأليف الذي أُخضع إلى منهج محكم ودراسة عميقة إزاء المصطلح العلمي، واللغوي، والفنّي، حتّى لا يُخيَّل لدارسيه أنّ ما يصطلح عليه بعلم المصطلح، أو المصطلحيّة بصيغة علوم العصر كان موجوداً بذهنه، وحاضراً في منهجيته، وبنيته العقليّة والاجتماعية"[2]، وفي نفس السياق يرى أحد الباحثين أنّ الجرجاني قد يكون من الأوائل الذين أشاروا إلى تعريف الاصطلاح[3]، مع أنّ لفظة الاصطلاح

[1]- مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1428هـ- 2008م ص:.13

[2]- المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، رابح بوحوش، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، 2010م، ص:14.

[3]- "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل. الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى

وملازماتها كالحدّ والمفهوم كانت قد شاعت عند اللغويين والنحويين، دون أن يعطوا لها تعريفاً[1].

د- غزارة التأليف:

وتبرز هذه الخاصية لدى جلّ مؤلفي المعاجم الموسوعية؛ فباستثناء الخوارزمي والكفوي فإنّ البقية كانوا غزيري التأليف بدرجات متفاوتة؛ لكون الأول من المقلين في التأليف، إذ لم يخلّف سوى كتابين، هما: مفاتيح العلوم، ومختصر الوجوه في اللغة[2]، والثاني لم تذكر المصادر من مصنّفاته إلا ثلاثة كتب: أحدها الكليات، وثانيها "شرح بردة البوصيري"، وثالثها باللغة التركية سماه "تحفة الشاهان"[3].

وبالمقابل ترك لنا الجرجاني آثاراً عديدةً قيل إنها بلغت خمسين مصنّفا فيها عدد وافر من الشروح لمؤلفات الأوائل؛ فبالإضافة إلى كتاب التعريفات الذي يتضمن جملة مختارة من مصطلحات الفلسفة والمنطق واللغة والبلاغة والفقه والتصوّف، نجده ألّف في مختلف العلوم منقولها ومعقولها، ومن ذلك: رسالة في الوجود، وتفسير الزهراوين (سورة البقرة وآل عمران)، ورسالة في الحرف، ورسالة في الصوت، وحاشية على التلويح والتوضيح، فن أصول مصطلح الحديث، وشرح الكافية في النحو، وحاشية على الكشّاف، كما كتب

معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معينين"، ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1424هـ-2003م، رقم المصطلح: 199و 200، ص:.32

[1]- ينظر: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1، 1424هـ-2003م، ج:1، ص:65-66.

[2]- ينظر: المصطلح الفلسفي عند العرب، عبد الأمير الأعسم، بغداد، ط:1، 1985، ص:54.

[3]- الكليات، الكفوي، مقدمة المحققان: ص:7-8.

بالأعجمية عدة مصنّفات منها: الرسالة الصغرى في المنطق، الرسالة الكبرى في المنطق، ومقدمة في الصرف[1].

ونفس الكلام ينطبق على السيوطي الموسوعي؛ فهو الإمام الحافظ، والمؤرخ الأديب خلّف ستمائة (600) مصنّف، من أشهرها:

- الإتقان في علوم القرآن، تفسير الجلالين بالاشتراك مع جلال الدين المحلي، والاقتراح في علم أصول النحو، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، وجمع الهوامع، وبغية الوعاة، وغيرها كثير.

وتُنسب إلى التهانوي أربعة مؤلّفات، أشهرها:كشاف اصطلاحات الفنون، و"سبق الغايات في نسق الآيات، وهو كتاب في علوم القرآن الكريم وتفسيره، وكتاب "أحكام الأراضي"، وكتاب "ضابط قواعد الحساب"[2].

ه- الثقافة المتعددة:

إنّ الدارس لمعجم "مفاتيح العلوم" للخوارزمي يتبين له من خلال بعض عبارته أنّ الرجل على علم واسع ببعض اللغات، كالفارسية، واليونانية، والسريانية، وحتى التركية، وهذا ما ساعده لترجمة عدة مصطلحات أعجمية إلى اللغة العربية، مع وضع مقابلات لها، وكان الكفوي متمكّنا من اللغتين العربية والتركية، وهذا ما ساعده للتأليف بهما.[3]

ويجد المتأمل لكشاف اصطلاحات الفنون أنّ التهانوي قسم معجمه إلى فنين هما: فن في الالفاظ العربية، وفن في الألفاظ الأعجمية، وقد فاق القسم الأول القسم الثاني من ناحية كم المداخل وغزارة التعريفات والشروح، فقد قُدر مجموع المصطلحات الأعجمية الواردة في الكشاف مائتين وثلاثة عشر

[1]- ص: ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد باسل العيون السود، ص:6-7.

[2]- ينظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م، ص: xxxiv

[3]- الكليات، الكفوي، ص:8.

(213) مصطلحا، من أصل ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (3150) مصطلحا، أي ما يعادل نسبة (7%) من المجموع الكلي للمصطلحات، ولقد بيّن الإحصاء أنّ المصطلحات الأعجمية تنتمي إلى ثماني لغات هي: الفارسية، والقبطية، والتركية، واليهودية، والرومية، والهندية، واليونانية، والسريانية[1].

4- مظاهر توظيف التكامل المعرفي في بناء الرصيد المصطلحي:

تنهل المعاجم الاصطلاحية الموسوعية التراثية رصيدها المصطلحي من ثلاثة روافد معرفية تتشابك متضافرة لتشكّل شبكة العلوم التي أوجدتها قرائح العلماء في شتى التخصصات في الحضارة الإسلامية العربية عبر عصورها الزاهية، وهذه المصادر هي:

أ- مصدر جاهلي: يمثله الشعر الجاهلي، وأيام العرب، ومعرفة الأنساب، والتقاليد والأساطير، وأفرز هذا المصدر علوم رواية الشعر، معرفة الأنساب، وأخبار الجاهلية وأيامها.

ب- مصدر إسلامي: يتجسد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمغازي، وأخبار الفتح الإسلامي، وأنتج هذا المصدر علوما شرعية، تعنى القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلوما لغوية سعت لخدمة كتاب الله المقدس وسنة نبيه المطهرة، وعلوما تاريخية اختصت بالتاريخ الإسلامي ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلّم.

ج- مصدر أجنبي: يتجلى فيما كان لدى الأمم الأجنبية من معارف متنوعة نظرية وتطبيقية، وولّد هذا المصدر علوم الطب، والفلسفة، والمنطق، وغيرها من العلوم الأعجمية[2].

---

[1]- أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، محمد القطيطي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط:1، 1431هـ- 2010م، ص:115-117.

[2]- ينظر: مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2003م، ص: 291-292.

والمتصفح للمعاجم الموسوعية الاصطلاحية التراثية- معلّماً كان أم متعلّماً- يجد في متناوله هذا الزخم المعرفي الثري، بعدما صنفه هؤلاء المعجميون في أحسن نهج، وقرّبوا لطالبيه ليكون عوناً لهم على التفقّه في مختلف مسائل العلم في زمنهم، فينهلون منه في كل حين.

وتتجلى وشائج التقارب المعرفي في العلوم الإسلامية أيضاً من خلال التواصل المصطلحي الذي يظهر واضحاً في أسماء العلوم، شرعية كانت أم لغوية؛ فقد كان اتصال الدراسات الفقهية بالأبحاث اللغوية شديد الصلة كصلة الغاية بالوسيلة، ولهذا نجد غالبية المعجميين كانوا من المبرزين في الدراسات الفقهية، ولهم مصنّفات تتعلق بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشريعة بوجه عام، ولعل الوشائج الوثيقة بين الدراسات الدينية واللغوية تتمثل على أكمل وجه لها في المصطلح (فقه اللغة)[1].

ومما لاشك فيه أنّ النحو هو قرين الفقه في نشأته المبكرة وفي تطور البحث فيه، وفي تطور مصطلحه أيضا، ومن ثم لم يكن غريباً أن يؤثّر كل منهما في الآخر ويتأثّر به، وأن نجد من بين الفقهاء نحاةً ومن بين النحاة فقهاء[2]، ويبرز التفاعل الاصطلاحي الذي تم من علوم الدين نحو علوم العربية بوضوح في التواصل بين النحو وأصوله والفقه وأصوله في جهاز مصطلحي لا يُستهان به ؛إذ أن دراسة التراث النحوي تجعلنا نقف على مصطلحات من قبيل: القياس– والإجماع – والاستحسان - والخلاف – والأصول – والفروع – والعلة – وقياس العلة– والتعليل – والحكم – والنقيض – والنظير والدليل – الحمل)حمل الفرع على الأصل (الحمل على الشبه الحمل على الأكثر – والواجب

[1]- ينظر: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 2003م، ص: 72.

[2]- ينظر: المصطلح العلمي عند العرب– تاريخه ومصادره ونظريته، محمد حسن عبد العزيز، ص:22.

والجوار والمندوب – والمكروه... وهذه المصطلحات نجدها مبثوثةً في كتب أصول النحو[1].

5- المعاجم الموسوعية التراثية في خدمة التكامل المعرفي:

أ- وظائف المعجم:

يحدد الخوارزمي غايته من بناء هذا المعجم بقوله: "يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمِّناً ما بين كلّ طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات، التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة"[2].

كما بيّن أهمية هذه المواضعات والاصطلاحات، وجعلها أساساً لفهم العلوم واستيعابها؛ وذلك لكون "معرفة اللغة وحدها بل والتبريز بها وآدابها لا يغني شيئاً، وإنّ مثل هذا الدارس للعلوم، لهو بمنزلة الأميّ الذي لا يفصح لعجمة في منطقه"[3].

فالخوارزمي يقرر عدة معطيات منها:

1- إنّ المصطلحات العلمية غير الألفاظ اللغوية، الأولى خاصّة بأصحاب الصناعات والثانية عامّة تشمل أصحاب اللغة كلّهم.

2- إنّ كثيرا من كتب اللغة تخلو من المصطلحات العلميّة.

3- إنّ اللغوي المبرز يحتاج إلى معرفة ألفاظ كتب الحكمة والعلوم ليعرف ما فيها[4].

---

[1]- ينظر: دراسات في اللغة والمصطلح، يوسف العثماني، سلسلة أعمال وحدة البحث "مجتمع المصطلحات" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، ص:165.

[2]- ينظر: مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، ص:12.

[3]- اللغة على مدارج القرن الواحد والعشرين، عبد الكريم خليفة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، ص:.118

[4]- ينظر: بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط:1، 1987م، ص:171.

فواضح أنّ الخوارزمي تنبّه إلى أنّ المعاجم اللغوية لا تستجيب لحاجات المتعلّم، ولاسيما المقبل على العلوم الجديدة آنذاك، فقصد إلى جمع المصطلحات المتداولة بين أهل هذه العلوم في كتاب واحد يغني عن التعدد المصطلحي الذي شهدته اللغة العربية في هذه المرحلة نتيجة تعدد المواضعات.

ويوضح القنوّجي الغاية المقصودة من تأليف مصنّفه في المقدمة قائلا:"فهذا بثٌ لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية، وتراجم الفنون الزاخرة، وأثر بعد عين في تحصيل ما نيطت به سعادة الدنيا والآخرة... حرّرته إحرازاً لما تشتّت من أحوال العلوم وتراجم أسمائها وسماتها، وجمعته إفرازاً للفنون مع بيان مباديها وأغراضها وغاياتها"[1].

وكان انصراف الناس عن العلوم وانشغال العلماء بالتأليف في المسائل السطحية سببا قويا دفع القنوجي لوضع لهذا المعجم؛ وهذا ما يؤكّده بقوله:"ورأيت المترفين قد عجزت هممهم عن معرفة هذه العلوم والفنون، ووجدت العلماء قد قنعوا بالطلّ من الوابل الهتون، فكل واحدة من هاتين القبيلتين في غنى عن جباتها وقصور عن بلوغ غايتها، إلاّ ما شاء الله تعالى من شواذ القبائل وأفراد الإنسان"[2] .

فأصحاب هذه المصنّفات أدركوا قيمة قيمة المعجم المتخصّص في تحصيل المعارف والعلوم؛ ولذلك راحوا يتفننون في صناعة معاجم موسوعية تضم مصطلحات علوم عصرهم، ليقدموها لطلاب العلم.

ب- القارئ المستهدف:

تباينت المعاجم الموسوعية التراثية في تضمّن مقدماتها الإشارة الصريحة إلى القارئ الذي تستهدفه بدقة؛ فقد عرّف كل من الخوارزمي

[1]- أبجد العلوم، صديق بن حسن القنّوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، ج:1، ص:4

[2]- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنّوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار ، ج:1، ص:5.

والجرجاني والسيوطي والتهانوي والأحمد نكري بمن يستعمِل هذا المعجم، وبالمقابل لم يشر كل من الكفوي والمناوي القنوجي لمن ستتوجّه مصنّفاتهم.

فقد عيّن الخوارزمي مستعمِل معجمه بقوله: "وأحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديب اللطيف" [1]؛ لأنّه انتبه- في وقت مبكر- إلى أنّ مدلول اللفظ يختلف باختلاف مجال استعماله، لاسيما بعد تعدد فروع المعرفة؛ إذ أصبحت اللفظة الواحدة دالةً على أكثر من معنى، كما هو الحال مع مفردات: الرَّجْعَة، والفكّ، والوَتَد.

ولذا راح يبرهن على ضرورة تحديد السياقات المعرفية الممكنة للمصطلحات العلمية، من خلال تحديد مفاهيمها ضمن مجالاتها؛ ومن ذلك "لفظة الفكّ فإنّها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فكّ الأسير أو الرهن أو الرقبة، وأحد الفكّين وهما أحد اللحيان، وعند أصحاب العَروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعهما دائرة، وعند الكُتَّاب تصحيح اسم المُرتَزِق في الجريدة بعد أن كان وُضِع عنها" [2]، فكان هذا المعجم جامعاً لشتات المصطلحات، وضابطاً لدلالاتها، فهو يمنح المتعلّم مفاتيح العلوم، ويكون معيناً له على إدراك دلالة المفردة في علم بذاته.

وفي التعريفات يبيّن الجرجاني أنّ مصنّفه موجّه لكل طالب، ولكل راغب؛ فهو بذلك معجم علمي موجّه لعامة الناس من الراغبين في تحصيل معرفة بالعلوم المدونة في زمنه، ولعل هذا ما نلمسه في قوله:"فهذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتّبتها على حروف الهجاء، من الألف والباء إلى الياء، تسهيلا تناولها للطالبين، وتيسرا تعاطيها للراغبين"[3].

---

[1]- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنّوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار ، ج:1، ص:5.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- معجم التعريفات،الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2004م، ص:7.

كما أراد السيوطي أن يكون مقاليد العلوم مرشداً لطالب العلم الذي تحققت له المُكنة في أحد العلوم الرائجة في زمنه، ومع ذلك يكون هذا المتعلّم غير مُلم بمصطلحات علوم لم يتقنها بعد؛ فالمعجم تثقيفي تعليمي هدفه التوسع في إدراك المصطلحات وتعريفها في شتى العلوم؛ وهذا ما دعاه للقول: "فإنّ معرفة المواضعات، والمصطلحات من أوائل الصناعات وأهم المهمات، والطالب الأديب، الراغب الفطن اللبيب، متى فرغ عن حفظ اللغة واستحضرها، وضبط أنواع مفرداته واستظهرها، واستحضرها، لابد وأن يكون بمصطلحات كل فن خبيراً، وبمواضعات كل طبقة من العلماء بصيراً؛ ليحيط به إحاطةً أوليةً تكون عوناً له على التحصيل، ويطّلع على مقاصدهم إجمالاً قبل التفصيل، حتّى إذا أراد استحصان مسائلها، وأحكامها، والوقوف على جميع أنواعها وأقسامها، سهُل عليه ما يريده، وحصل به إتقانه وتسديده، فلم يتعلثم في بيان جواب، ولم يتتعتع في دراسة علم وكتاب؛ فلكل طائفة من العلماء كلمات فيما بينهم متعارفة"[1].

كما أخرج التهانوي كشافه هذا جامعاً لمعظم المواضعات الاصطلاحية الرائجة في المباحث المعرفية التي اشتغل بها سابقوه ومعاصروه؛ ولهذا وضع "كتاباً وافياً لاصطلاحات جميع العلوم كافياً للمتعلّم من الرجوع إلى الأساتذة العالمين بها"[2].

ويذكر صاحب دستور العلماء أنّ معجمه موجّه إلى العلماء والمتعلمين على السواء؛ وذلك قصد توضيح الغامض من المصطلحات العلمية، وهذا ما صرح به في المقدمة: "إنّ هذا دستور العلماء جامع العلوم العقلية، حاوياً الفروع

[1]- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر، ط:1، 1424 هـ - 2004م، ص:29.

[2]- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م، ص:1.

والأصول النقلية، فيه فوائد غريبة، وجرائد عجيبة، في تحقيقات اصطلاحات العلوم المتناولة، وتدقيقات لغات الكتب المتداولة، وتوضيحات مقدمات منتشرة مشكلة على المعلّمين، وتلويحات مسائل مبهمة متعسّرة على المتعلّمين، بعبارات واضحة ليتيسر الوصول بها إلى المرام، وتعبيرات لائحة لئلا يتعسّر على كل طالب إدراك ما رام"[1].

ومما سلف يتضح أنّ المعاجم معظم التراثية الاصطلاحية كانت موجّهة لطالب العلم قصد مساعدته على تحصيل المعارف وإتقان الفنون، ماعدا الخوارزمي الذي قصد مساعدة الكُتاب في زمنه على الإلمام بالمصطلحات العلمية؛ لأنها تعد مفاتيح العلوم، وأدوات المعرفة، فلا يمكن الاستغناء عنها إطلاقاً.

ج- المصادر:

ذكر بعض واضعي المعاجم التراثية الاصطلاحية المصادر المعوّل عليها في جمع المصطلحات العلمية لمصنّفاتهم، وأهمل بعضهم الآخر توثيق المادة المعجمية؛ فلم يذكر الخوارزمي في معجمه المصادر التي اعتمدها في التأليف؛ وهذا ما يفسّر تعويله على مجهوده الشخصي في انتقاء المصطلحات، وعلى ثقافته الواسعة، وعلى النقل على السابقين قليلاً [2].

ولعلّ تاريخ ظهور المعجم كفيل بتحديد المصادر التي استقى منها المصطلحات المندرجة تحت فصول المعجم، وعليه يسهل استنتاج اعتماده

[1]- دستور العلماء (موسوعة مصطلحات جامع العلوم)، عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط:1، 1997م ، ص:7.

[2]- وردت في ثنايا المعجم إشارات إلى بعض الأعلام العرب من لغويين وأدباء، ونقاد، وبلاغيين، ومنهم: بشر بن المعتمر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ابن درستويه، أبو زيد الأنصاري، الجاحظ.

على جلّ المصنّفات التي كانت متداولة آنذاك، في شتى العلوم والمعارف، ومنها:

في الفقه: "تفسير غريب الموطأ" لعبد الله أحمد بن عمران الألهالي (250هـ)، و"الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي" لأبي منصور الأزهري (370هـ)، و"طلبة الطلبة" لأبي حفص عمرو بن محمد النسفي (370هـ).

في علم الكلام: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (324هـ)، و"الانتصار" لأبي الحسين الخياط (ت ق3ه).

في النحو: الكتاب لسيبويه (180ه)، و"حدود النحو" ليحي بن زياد الفراء (207ه)، و"المصون في النحو" لأحمد بن يحي ثعلب (291ه)، و"الحدود النحوية" لعلي بن عيسى الرماني (384ه).

في اللغة: "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (175ه) [1].

في التصوف: "الرعاية لحقوق الله" للمحاسبي (243ه)، و"اللمع" لأبي نصر عبد الله بن السرّاج (378ه).

في الفلسفة: "رسالة في الحدود" لجابر بن حيّان (200هـ)، و"رسالة في حدود الأشياء ورسومها" لأبي يوسف الكندي (252هـ)، و"إحصاء العلوم" والألفاظ المستعملة في المنطق" لأبي نصر الفارابي (339هـ).

في الطب: "الحاوي" لأبي بكر الرازي (311هـ)، و"الاعتماد في الأدوية المفردة" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الجزّار(369هـ) [2].

[1]- ورد الخليل بن أحمد في متن المعجم أربعة عشرة (14) مرة، ينظر: مفاتيح العلوم، الخوارزمي، صفحات:23-26-33-37-79-154-155-158-159-164-165-178-183-209.

[3]- ينظر: المصطلح العلمي عند العرب- تاريخه ومصادره ونظريته، محمد حسن عبد العزيز، ص:107-167.

وكان التهانوي أكثر تحديداً للمصادر التي استعان بها في وضع كشافه، فقد اعتمد في جمع مادة معجمه الاصطلاحية على مجموعة غزيرة من المصادر بلغ عددها أربعمائة وستة وتسعين (496) مصدراً؛ وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ التّهانوي "لم ينقل مادّته الاصطلاحيّة التي احتواها من المعاجم الاصطلاحية فقط، وإنّما استقرأ كتب العلماء، واستخرج تعريفاتهم للاصطلاحات التي أوردها، على الرغم من أنّ هذه المنهجية كانت شائعة قبل عصر التّهانوي؛ فكثير من المعجميين الذين سبقوه أخذوا مادّتهم من المعاجم التي ظهرت قبلهم"[1]، وهكذا يشكّل تأليفه منعرجاً في مسار المعجمية العربية المتخصّصة، نتيجة ما اتّسم به من جِدّة في معالجة القضايا المصطلحيّة؛ وذلك من خلال:

- بيان العلوم المدوّنة في المقدمة، والتي يسعى المؤلف للتعريف بمصطلحاتها.
- الحرص على معالجة دلالة الوحدة المعجميّة بحسب تعدد مجالاتها العلميّة.
- ذكر أسماء المصادر والمراجع في المتن تحرّياً للدقّة والضبط.
- استخدام بعض الإجراءات التقنية في التعريف؛ كالتقسيمات، والخلاصة، والتعليق، وازدواجية لغة الشرح[2].

كما عوّل صاحب "الكليات" على ما صُنّف من المعاجم بمختلف ضروبها، كالقاموس المحيط، ولسان العرب، والمخصّص، ومفردات الراغب، والتعريفات للجرجاني، والفروق اللغوية للعسكري، وكتب التفسير والحديث والفقه والفرائض وغيرها، فصرح بها أحياناً وسكت عنها أحياناً أخرى، فكان

[1]- أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، محمد القطيطي، ص:.105

[4]- ينظر: الفكر المعجمي الاصطلاحي عند التّهانوي- مقاربة وصفية وتحليلية، أطروحة دكتوراه، إعداد: لعرج عجّال، إشراف: أحمد عزوز، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2009-2010م، ص:238-250(مخطوط).

لأولئك فضل الكشف والريادة والتأسيس وكان له فضل الجمع والتنسيق والتقديم[1].

وأشار المناوي إلى ثلاثة مصادر أساسية كانت عمدة تصنيف معجمه "التوقيف على مهمات التعريف"، وهي: الذريعة إلى معرفة ما أُصلت عليه الشريعة، وتعريفات واصطلاحات لابن كمال شمس الدين، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني[2].

خاتمة:

ومما سلف يتضح جلياً أنّ أسلافنا القدامى برعوا في صناعة معاجم اصطلاحية موسوعية تجمع بين دفتيها عدة علوم وفنون، رصدوا فيها جلّ المصطلحات العلمية المكوّنة لكل المعارف التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية في أزمانهم، حرصاً منهم على نشر العلم، وتعميم الفائدة.

ولقد جسّدت هذه المؤلّفات- بحق- كافة أشكال التكامل المعرفي من خلال ربطها علوم الشريعة بعلوم اللغة، وعقدها لتوأمة بين علوم العرب وعلوم العجم، إضافة لتمثيلها لسمة الموسوعية التي طبعت الفكر الإسلامي منذ نزول الوحي، وما نتج عن ذلك من تعدد ثقافي، وتنوع لغوي، وثراء معرفي.

كما حرص واضعو هذه المعاجم على تحقيق كافة مظاهر التفاعل العلمي؛ وذلك انطلاقاً مما تزخر به مصنّفاتهم من حقول معرفية-أصيلة كانت أم دخيلة- ضمن مؤلَّف واحد، زيادة على مع ما تحتويه هذه العلوم والفنون من رصيد اصطلاحي تتجاذبه عدة حقول معرفية في آن واحد، هذا ناهيك عن

[1]- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مقدمة المحقّقان، ص:9.

[2]- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص: 2، نقلا عن: www.al-mostafa.com

تسطيرهم للغايات المرجوة من هذا العمل؛ انطلاقاً من تحديد القارئ المستهدف، ورصد المصادر المعوّل عليها في رصد مادة المعجم العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- أبجد العلوم، صديق بن حسن القنّوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م.

2- أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، محمد القطيطي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط:1، 1431هـ- 2010م.

3- بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط:1، 1987م، ص:171.

4- التعريب في القديم والحديث، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، د ط، 1990م.

5- التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1424هـ-2003م.

6- دراسات في علم اللغة، فتح الله سليمان، دار الآفاق، القاهرة، ط:1، 1429هـ- 2008م، ص:180.

7- دراسات في اللغة والمصطلح، يوسف العثماني، سلسلة أعمال وحدة البحث "مجتمع المصطلحات" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة.

8- دستور العلماء (موسوعة مصطلحات جامع العلوم)، عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط:1، 1421 هـ - 2000م.

9- فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط:2، القاهرة، مصر، 1999 م.

10- الفكر المعجمي الاصطلاحي عند التّهانوي- مقاربة وصفية وتحليلية، أطروحة دكتوراه، إعداد: لعرج عجّال، إشراف: أحمد عزوز، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 2009-2010م.(مخطوط).

11- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط:2، 1419هـ-1998م.

12- لغة النظر ونظار اللغة، محمد الدرويش، تقديم: أحمد العلوي، منشورات فكر، الرباط، المغرب، ط:1، 2009.

13- اللغة على مدارج القرن الواحد والعشرين، عبد الكريم خليفة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، ص:118.

14- مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد106، السنة السابعة والعشرون، ربيع الآخر 1428هـ- نيسان 2007م.

15- مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، العدد الأول، 1422-2001م.

16- مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، العدد الثالث، 1424ه-2003م.

17- مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 78، الجزء الثالث، جمادى الأولى 1424هـ/ تموز(يوليو)2003م، ص:720.

18- المصطلح العلمي عند العرب- تاريخه ومصادره ونظريته، محمد حسن عبد العزيز، دار الهاني للطباعة، القاهرة، 2000م.

19- المصطلح العلمي في اللغة العربية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر، دمشق، ط:1، 1431هـ- 2010م، ص:176-177.

20- المصطلح الفلسفي عند العرب، عبد الأمير الأعسم، بغداد، ط:1، 1985م.

21- المصطلحية وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي، خالد اليعبودي، دار ما بعد الحداثة، فاس، ط:1، 2004م.

22- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 2003م.

23- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة ، مصر، ط:1، 1424 هـ - 2004م.

24- مفاتيح العلوم، الخوارزمي الكاتب، تحقيق: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1428هـ- 2008م.

25- مقدمة العلامة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:1، 1424ه-2004م.

26- مقدمة لدراسة التراث المعجمي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2003م.

27- من قضايا المصطلح اللغوي العربي، مصطفى طاهر الحيادرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط:1، 1424هـ-2003م، ج:1.

28- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، فرانتز روزنتال، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1961م.

29- المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، رابح بوحوش، دار العلوم للنشر والتوزيع، د.ط، 2010م.

30- موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:1، 1996م.

31- ندوة "المعجم العربي المختصّ"، جمعية المعجمية العربية بتونس، 17- 19 أفريل 1993، أشرف على نشره: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1996.

32- موقع: www.al-mostafa.com